توعدات إبليس لبني آدم
في القرآن الكريم
دراسة تفسيرية تحليلية

د. عبداللطيف بن عبدالله بن عبدالعزيز الجطيلي
الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة القصيم

توعدات إبليس لبني آدم في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية

عبداللطيف بن عبدالله بن عبدالعزيز الجطيلي
قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم – السعودية .
البريد الإلكتروني : aagt1439@gmail.com

المراد بالتوعدات في هذا السياق: هي ما حكاه الله تبارك وتعالى عن إبليس من تهديده لبني آدم بالإغواء والإضلال، وإقسامه على ذلك. ولما كانت توعدات إبليس لبني آدم بهذه الخطورة حيث جاءت بألفاظ صريحة في العداوة ومبينة لحجم التحدي والضراوة في الصراع = كان من المهم العناية بجمعها ودراستها والنظر في دلالاتها ليكون المؤمن على يقظة من أمره، فيحذره ويتقي سبله؛ ومن ثم جاءت فكرة هذا البحث وأهمية الموضوع لارتباطه ببيان معاني كلام الله عز وجل وتدبر ألفاظه. وعناية القرآن ببيانها حيث تكررت هذه التوعدات في عدد من السور هذا البحث يهدف إلى دراسة توعدات إبليس لبني آدم التي حكاها الله تعالى في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية استقرائية. وكان من نتائج هذا البحث: أن ألفاظ التوعدات عشرة، يختلف بعضها عن بعض، وفي أربع سور من القرآن، وكلها بصيغة القسم، وفي غاية الصراحة والوضوح في العداوة والتحدي.

الكلمات المفتاحية: التوعدات، توعدات، إبليس، بني آدم، ذرية آدم، في القرآن

Satan's threats to the children of Adam in the Holy Qur'an, an analytical and interpretive study

Abdul Latif bin Abdullah bin Abdulaziz Al-Jutaili
Department of the Noble Qur'an and its Sciences - College of Sharia and Islamic Studies - Qassim University - Saudi Arabia.
aagt1439@gmail.com

Abstract :

What is meant by threats in this context: is what God, Blessed and Exalted be He, told about Satan of his threat to the children of Adam with seduction and misguidance, and his swearing of that. And since Satan's threats to the children of Adam were so dangerous, as they came with explicit expressions of hostility and indicated the extent of the challenge and ferocity in the conflict = it was important to take care of collecting and studying them and looking at their implications so that the believer is vigilant of his command, so he warns him and fears his ways; Hence came the idea of this research and the importance of the importance of the topic because it is related to the statement of the meanings of the words of God Almighty and the management of his words. And the Qur'an's attention to its statement, as these threats were repeated in a number of surahs. This research aims to study the threats of Satan to the children of Adam, which God Almighty narrated in the Holy Qur'an, an explanatory, analytical, and inductive study. One of the results of this research: that the words of threats are ten, differing from each other, and in four chapters of the Qur'an, all of which are in the form of oath, and very frank and clear in hostility and challenge.

Keywords: the promises, promises, the Devil, sons of Adam, offspring of Adam, in Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم، وأكرمنا بهذا الدين القويم، وهدانا إلى الصراط المستقيم، ونسأله الثبات عليه إلى يوم أن نلقاه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن الله ﷻ قد بيَّن في كتابه في غير ما آية وفي أكثر من سورة[1] قصة خلقه –تعالى– لآدم عليه السلام وما جرى بعد ذلك من أمره تبارك وتعالى للملائكة بالسجود له عليه السلام؛ فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، حيث استكبر وكان من الكافرين؛ وذلك أنه زعم أن جنسه أفضل من جنس أبينا عليه السلام فامتنع عن الطاعة معتذرا بعذر قبيح ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[الأعراف:١٢] فلعنه الله ﷻ وطرده من جنته، وأخزاه وأذله ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾[الأعراف:١٣].

ثم إن إبليس–لعنه الله– سأل الله –تبارك وتعالى– أن يُنظِره ويطيل في عمره إلى يوم الدين فأجابه الله إلى ما سأل لما في ذلك من الحكمة البالغة والمشيئة النافذة، ليزداد جرمه وكفره، ولما فيه من الابتلاء للعباد، ولتعظم الأجور والثواب بمخالفته والحذر من مكره. ومن ذلك الحين بدأت العداوة بين إبليس اللعين وأبينا آدم عليه السلام وذريته ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[الحجر:٣٩].

وقد حكى الله ﷻ في كتابه في عدد من السور توعدات إبليس لبني

(١) ذكرت في: سورة البقرة والأعراف والإسراء والكهف وطه.

آدم بالإضلال والإغواء وقسمه بإغواء الله له ليفعلن ما هدد به وتوعد في مواضع كثيرة في عدد من السور؛ مبينًا عظيم الخطر، ومحذرًا من كيد إبليس –لعنه الله– لبني البشر؛ فجاءت هذه التوعدات مفصلة ومختلفة في الألفاظ زيادة في البيان والتحذير والتنفير حتى لا يأمنوا مكره وشرّه، وليكونوا منه على يقظة وحذر واحتياط لئلا يكونوا ممن حقق إبليس فيهم ما يريد وصدق عليهم ظنه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ:٢٠].

ومما يدعو للتيقظ من مكره وتلبيسه أن الله قد جعل له من الخصائص ما ليس لغيره زيادة في الابتلاء حيث أخبر تعالى عنه بقوله ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[الأعراف:٢٧] وبقوله ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(١).

ومع هذا فقد أخبر الله ﷻ في كتابه العزيز أن كيد الشيطان ضعيف كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[النساء:٧٦]، وأنه ليس له من الإضلال شيء، وأن حدود طاقته وكيده إنما هو في التزيين والوسوسة والتلبيس كما قال إبليس مبينًا ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[الحجر:٣٩]، وقال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾[الناس:٤-٥].

ومن رحمة الله –تعالى– أن جعل حزبه المؤمنين المخلصين لا سبيل للشيطان عليهم، وإنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم بالله مشركون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث صفية رضي الله عنها برقم ٢٠٣٩-(٥٠/٣)كتاب الاعتكاف، باب: هل يدرأ المعتكف عن نفسه؟.

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾[النحل:٩٩-١٠٠].

ولما كانت توعدات إبليس لبني آدم بهذه الخطورة حيث جاءت بألفاظ صريحة في العداوة ومبينة لحجم التحدي والضراوة في الصراع = كان من المهم العناية بجمعها ودراستها والنظر في دلالاتها ليكون المؤمن على يقظة من أمره، فيحذره ويتقي سبله؛ ومن ثم جاءت فكرة هذا البحث والذي جعلته بعنوان: **توعدات إبليس لبني آدم في القرآن الكريم -دراسة تفسيرية تحليلية-.**

أسئلة البحث:

يجيب البحث على الأسئلة التالية:

- كم عدد التوعدات الإبليسية لبني آدم التي حكاها الله تعالى في كتابه؟
- ما التوعدات الإبليسية التي حكاها الله في كتابه، وما السور التي ذكرت فيها؟
- ما المعاني والدلائل التي تدل عليها ألفاظ هذه التوعدات التي حكاها الله عنه؟
- ما الواجب على المسلم تجاه هذه التوعدات المنصوصة في الكتاب العزيز؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- أهمية الموضوع لارتباطه ببيان معاني كلام الله عز وجل وتدبر ألفاظه.
- عناية القرآن ببيانها حيث تكررت هذه التوعدات في عدد من السور.
- ورود هذه التوعدات بألفاظ صريحة ومختلفة تبين عن حقد ظاهر وعداوة شديدة مما هو جدير بالمسلم أن يقف عندها ويتدبرها.

أهداف البحث:

- جمع التوعدات التي توعد بها إبليس بني آدم في القرآن.
- دراسة التوعدات دراسة تفسيرية تحليلية والموازنة بين الأقوال الواردة، مع ذكر الراجح، وسبب الترجيح.
- الوقوف على معاني التوعدات وفهم دلالاتها وإبرازها؛ تأكيدا للتحذير منها.
- ذكر الأثر التربوي الإيماني المستخلص من دراسة هذه التوعدات.

حدود البحث:

جمع الآيات التي ورد فيها توعد إبليس لبني آدم في القرآن الكريم–وقد بلغت سبع آيات– ودراستها ودراسة الألفاظ التي توعدهم بها وقد بلغت عشر توعدات.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة بهذا العنوان قبل البدء بالبحث ثم لما انتهيت وقفت على بحث بعنوان: حديث القرآن عن توعد إبليس لذرية آدم –دراسة موضوعية– للدكتور نواف بن غدير الشمري، منشور في جامعة الأزهر– كلية أصول الدين والدعوة.

وبعد الاطلاع على البحث وجدته يختلف عن دراستي من حيث نوع الدراسة فدراستي تفسيرية تحليلية وأما دراستُه فموضوعية، وإن كان قد نحا في الدراسة إلى التحليل، وكذلك لم يستقرئ جميع التوعدات حيث نص على أنه اكتفى بست توعدات (لأضلنهم، لأمنينهم، لأقعدن، لأزينن، لأغوينهم، لأحتنكن) بينما بحثي جاء مستوفيًا للتوعدات العشر حيث استقرأت جميع المواضع بحمد الله فزاد عليه ألفاظا مهمة مؤثرة وهي(**لأتخذن** من عبادك نصيبا مفروضا)، و(**ولآمرنهم** فليبتكن آذان الأنعام **ولآمرنهم** فليغيرن خلق

الله)، و(ثم **لآتينهم من** بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم)، ودرستها دراسة تفسيرية تحليلية، وتميز البحث أيضا بذكر الدلالة اللغوية والسياقية لكل توعد، وبذكر الأثر الإيماني والتربوي لدراسة التوعدات

وجاءت خطة هذا البحث كالتالي: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه بيان إجمالي بالمواضع من كتاب الله تعالى التي ذكر فيها هذه التوعدات.

المبحث الأول: التوعدات الواردة في سورة النساء. وفيه ستة مطالب:-

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآيتين.

المطلب الثاني: المفردة الأولى:(لأتخذن). وفيه ثلاثة فروع

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

الفرع الثالث: المراد بالنصيب المفروض.

المطلب الثالث: المفردة الثانية(ولأضلنهم). وفيه فرعان :

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

المطلب الرابع: المفردة الثالثة(ولأمنينهم).] وفيه فرعان

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

المطلب الخامس: المفردة الرابعة(ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام). وفيه فرعان:-

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

المطلب السادس: المفردة الخامسة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله).]وفيه ثلاثة فروع :-

الفرع الأول: المراد بتغيير خلق الله في الآية.

الفرع الثاني: من صور تغيير خلق الله في القديم والحديث.

الفرع الثالث: بلاغة النظم القرآني لهذه التوعدات في هذا الموضع.

المبحث الثاني: التوعدات الواردة في سورة الأعراف. وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآيتين.

المطلب الثاني: المفردة الأولى:(لأقعدن). وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

الفرع الثالث: المراد بالصراط المستقيم.

المطلب الثالث: المفردة الثانية(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم). وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

الفرع الثالث: المراد بالإتيان من هذه الجهات.

المبحث الثالث: التوعدات الواردة في سورة الحجر. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآية.

المطلب الثاني: المفردة الأولى:(لأزينن). وفيه فرعان :

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

المطلب الثالث: المفردة الثانية:(لأغوينهم). وفيه فرعان :

الفرع الأول: معنى المفردة لغة.

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني.

المبحث الرابع: التوعدات الواردة في سورة الإسراء. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآية.

المطلب الثاني: معنى المفردة (لأحتنكن) لغة.

المطلب الثالث: معنى المفردة في السياق القرآني.

المبحث الخامس: الأثر التربوي الإيماني من دراسة هذه التوعدات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

الفهارس: وتشمل الفهارس التالية:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكت المنهج الاستقرائي في جمع التوعدات في القرآن الكريم حيث بلغت عشر توعدات في سبع آيات، والتحليلي حيث درستها دراسة تفسيرية تحليلية.

إجراءات البحث:

اعتمدت الخطوات العلمية المعتبرة في كتابة البحوث، وهي كالتالي:

١- إيراد المقاطع بالآيات التي ورد فيها ذكر التوعد وترتيبها بحسب ترتيب السور مع عزوها إلى سورتها وبيان رقمها.

٢- دراسة هذه التهديدات دراسة لغوية تفسيرية تحليلية والموازنة بين الأقوال الواردة، مع ذكر الراجح، وسبب الترجيح.

٣- ذكر الأثر التربوي الإيماني المستخلص من دراسة هذه التوعدات.

٤- عزو الآيات الواردة أثناء البحث.

٥- تخريج الأحاديث، وعزوها إلى مصادرها بحسب الطرق المعتبرة.

نسبة الأقوال إلى قائليها، مع عزوها إلى مواضعها في مصنفاتهم إن وجدت، أو عند من أفادها.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن يهدينا لأحسن السبل، ويعصمنا من كيد الشيطان ونزغاته، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

قبل الدخول في تفاصيل البحث يحسن بنا الوقوف على معنى: التوعد والمراد به لغة واصطلاحاً.

فالتوعد لغة: التَّهدُّد، وتوعدته تهددته، كالإيعادِ، وَقد أَوْعَدَه وتَوَعَّدَهُ[1].

والمراد بالتوعدات في هذا السياق: هي ما حكاه الله تبارك وتعالى عن إبليس من تهديده لبني آدم بالإغواء والإضلال، وإقسامه على ذلك.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن إبليس -لعنه الله- **عشر توعدات توعد بها بني آدم في خمس سور** من القرآن الكريم.

حيث ورد منها في **سورة النساء** وحدها خمس توعدات؛ وهي في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[النساء:١١٨-١١٩] (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضاً)، (ولأضلنهم)، (ولأمنينهم)، (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام)، (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله).

وفي **سورة الأعراف** توعدان في قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف:١٦-١٧] (لأقعدن لهم صراطك المستقيم)، (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم).

وفي **سورة الحجر** توعدان في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[الحجر:٣٩] (لأزينن لهم في الأرض)، (ولأغوينهم أجمعين) ومثلها في **سورة ص** في قوله تعالى: ﴿قَالَ

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٥٢)، ولسان العرب (٣/ ٤٦٣) "وعد".

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص:٨٢][(١)].

وفي **سورة الإسراء** توعد واحد في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء:٦١-٦٢] **(ولأحتنكن)**.

وفي كل هذه المواضع يقسم إبليس الرجيم بإغواء الله له ليفعلن ما هدد به وتوعد، ولقد أخبرنا ربنا في كتابه أن أكثر الناس لا يؤمنون، وأن أكثر الناس قد اتبع إبليس إلا عباد الله المخلصين.

وعباد الله الذين خلصهم الله من كيد إبليس قد احتاطوا لأنفسهم منه باجتناب خطواته والتعوذ من وساوسه ونزغاته، وإنه ليجدر بكل مسلم حريص على خلاص نفسه منه أن يتعرف على توعداته له ليحذر كيده ومكره، أعاذنا الله وإياكم من إبليس وجنوده ومكرهم وكيدهم؛ إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب الدعوات.

ومن الإجمال إلى التفصيل نسأل الله الفتح والعون والتسديد.

(١) واكتفيت عن دراسة موضع سورة ص بدراسة التوعد المذكور في سورة الحجر لأنه باللفظ نفسه الواردة هناك.

المبحث الأول

التوعدات الواردة في سورة النساء

في قول الله تعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾[النساء: ١١٨-١١٩]

في هذا المقطع حكى الله ﷻ عن إبليس -لعنه الله- خمس توعدات لبني آدم بأن يصدهم عن الله وعن عبادته، وأن يضلهم عن الطريق المستقيم، وهي: (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)، و(لأضلنهم)، و(لأمنينهم)، و(ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام)، (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله).

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآيتين:

أخبر الله ﷻ عن إبليس أنه لما لُعِنَ أقسم ليتخذنَّ من عباد الله قدراً معلومًا يكونون من أتباعه في الغواية والضلال، ويستخلصهم لذلك ويخصهم بها وهم الكفرة والعصاة ممن اتبعه، وذلك بتزيين الباطل والشر لهم فمن أجاب دعوته وخضع لتسويله وتلبيسه كان من هذا النصيب المفروض، وتوعد بأنه سيصدهم عن النهج القويم والصراط المستقيم، وسيزيغهم-بما جعل في نفوسهم من الأماني-عن طاعة الله إلى الشرك به، وترك التوبة مع طول الأمل بطول الحياة مع الإصرار على الذنوب، وسيأمرهم بطاعته في الابتداع في الدين ما ليس منه، من جعل البحيرة[1] ونحوها، وسيأمرهم بتغيير خلق الله ودينه، وفطرته، والأخذ بكل ما هو معصية لله[2].

---

(١) البَحِيرة: هي الناقة يشقُّون أذنها شقًّا واسعا؛ إذا ولدَتْ عشرة أَبطن شقُّوا أُذنها وسيَّبوها، فلا تُركب، ولا يُحمل عليها. ينظر: المفردات للراغب الأصفاني (بحر) ص(١٠٨)، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي(٢/ ٢٢٥)

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري(٩/٢١٣-٢٢٣)، وإعراب القرآن للنحاس(١/٢٣٩)، والكشاف للزمخشري(١/٥٦٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية(٢/١١٤).

المطلب الثاني

المفردة الأولى: (لأتخذن).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

الأخذ: التناول أخذت الشيء آخذه أخذًا: تناولته، ... والاتِّخاذُ: افتعالٌ أيضاً من الأخذ: إلاَّ أنه أُدغِم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء"[(١)]. وأَخَذَ يَفْعَلُ كَذَا أَي: جَعَلَ"[(٢)].

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني

لما أخبر الله تبارك وتعالى عظيم خطر الإشراك بالله تعالى وأنه تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ بين أن هؤلاء المشركين لا يعبدون إلا أوثانا ولا يدعون إلا شيطاناً خبيثاً مريدا عاتٍ في العصيان، هو الذي سول لهم وزين لهم عبادة الأصنام، وأخبر تعالى عن لعنه لهذا الشيطان وطرده عن رحمته وجنته، وأنه قد توعد بإضلال بني آدم وأنه سيغوي نصيبا معلوما مقدرا بحسب ما أقدره الله تعالى من ذلك؛ يكونون من حزبه وأتباعه في الضلالة وإلى نار الجحيم.

ذهب المفسرون إلى أن المراد: لأستخلصن من عبادك نصيبًا أغويه وأجعله من أتباعي[(٣)]، وفي التعبير بـ: لأتخذن دلالة على أنه سيجتهد في تحقيق ذلك.

وقال القاسمي: "لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ أي: الذي أبعدتني بسببهم أي: لأجعلن لي منهم نَصِيباً أي: حظّا مَفْرُوضاً أي: مقطوعًا ومقدرًا من عبادتهم بأن يعبدوا غيرك، أو يراءوا فيها، أو يعجبوا بها، أو يتلفوها في المظالم، أو يحبطوها بالكفر بعدها"[(٤)].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(أخذ)(٥٥٩/٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور(أخذ)(٤٧٥/٣).

(٣) ينظر المحرر الوجيز(١١٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٣٨٨/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان(٧٠/٤)،

(٤) محاسن التأويل للقاسمي(٣٤٣/٣). وينظر: المحرر الوجيز(١١٤/٢).

الفرع الثالث: المراد بالنصيب المفروض

ذهب عامة المفسرين إلى أن المراد بـ "النصيب المفروض": حظًا معلوماً مقدراً افترضه واقتطعه لنفسه ممن أطاعه واتبعه؛ لأن أصل الفرض في اللغة: القطع. وما جعل الله له عليه سبيلا في إضلاله فهو كالمفروض(١).

وأما عددهم فقد ذكر المفسرون: أن من كل ألف إنسان واحدا يدخل الجنة، وسائرهم من حطب النار وهم بعث النار(٢).

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يقول الله تعالى: "يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد". قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: "أبشروا، فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفاً. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة" فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»(٣).

---

(١) معاني القرآن للفراء(٢٨٩/١)، جامع البيان(٢١٢/٩)، و معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٢/ ١٠٩)، وتفسير ابن أبي زمنين(٤٠٧/١)، والكشف والبيان للثعلبي(٣/ ٣٨٨)، والتفسير البسيط للواحدي(٩٩/٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ١١٤)، وغيرها.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان(٤٠٨/١)، وتفسير السمرقندي(٣٣٩/١)، والكشاف(٥٦٦/١) ونسبه للحسن.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ح(٣٣٤٨)،(١١٠/٨)، كتاب الرقاق(باب قول الله تعالى: {إن زلزلة الساعة شيء عظيم})، ومسلم في صحيحه ح(٢٢٢)، (٢٠١/١)، كتاب الإيمان- (بَابُ قَوْلِهِ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ).

المطلب الثالث

المفردة الثانية: (ولأضلنهم).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

قال ابن فارس: "(ضَلَّ) الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ"(١).

والضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدَى والرَّشاد. ومن الضلال: الضياع، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾[الكهف:١٠٤]، والنسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾[البقرة:٢٨١]"(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: "والإِضْلَالُ ضربان: أحدهما: أن يكون سببه الضَّلَالُ، وذلك على وجهين: إمّا بأن يَضِلَّ عنك الشيءُ كقولك: أَضْلَلْتُ البعيرَ، أي: ضَلَّ عنّي، وإمّا أن تحكم بِضَلَالِهِ، والضَّلَالُ في هذين سبب الإِضْلَالِ.

والضّرب الثاني: أن يكون الإِضْلَالُ سببًا لِلضَّلَالِ، وهو أن يزيّن للإنسان الباطل ليضلّ كقوله: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾[النساء:١١٣] أي يتحرّون أفعالاً يقصدون بها أن تَضِلَّ، فلا يحصل من فعلهم ذلك إلّا ما فيه ضَلَالُ أنفسِهِم، وقال عن الشيطان: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾"(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ضل)، (٣/٣٥٦).

(٢) لسان العرب(ضلل)، (١١/٣٩٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب (ضل)، ص(٥٠٩-٥١١).

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني

توعد الشيطان بني آدم بأن يتخذ منهم جزءا معلوماً يضلهم عن الهدى، ويصرفهم إلى الضلالة، وذكر من وسائله في ذلك تزيين طرق الضلال لهم، كما قال تعالى حاكيًا عنه ذلك في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾[الحجر:٣٩]، فإضلالهم عن الصراط المستقيم علما وعملاً هو غايته وهو وسيلته ليكونوا من حزبه وأتباعه.

واختلفت عبارات المفسرين في بيان المراد بهذه المفردة في هذا السياق:

فقال ابن جرير: "{ولأضلنهم} ولأصدّن النصيب المفروض الذي أتخذه من عبادك عن محجة الهدى إلى الضلال، ومن الإسلام إلى الكفر"(١).

وقال البغوي: "أَيْ: لِأُغْوِيَنَّهُمْ، يقوله إبليس، وأراد به التزيين، وإلا فليس إليه من الإضلال شيءٌ"(٢).

وقال الشوكاني: "وَالْإِضْلَالُ: الصرفُ عن طريق الهداية إلى طريق الغواية"(٣).

والذي يظهر أن الخلاف بينهم في التعبير ليس إلا وليست أقوالاً مختلفة، فإنه إذا صدهم عن الهدى فقد صرفهم عن الهدى إلى الضلال فأغواهم.

*****

(١) جامع البيان(٩/٢١٣).

(٢) معالم التنزيل للبغوي(٢/٢٨٩).

(٣) فتح القدير للشوكاني(١/٥٩٦).

المطلب الرابع

المفردة الثالثة: (ولأمنينهم).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

(المـُنى) بِضَم الْمِيم، جمع: المـُنْية، وهو ما يتمنَّى الرجل. والأُمْنِيّة: أُفعولة. وَجَمعهَا، الأمانِيّ. والتَّمَنِّي: تَشَهِّي حُصُولِ الأَمر المَرْغوب فِيهِ، وحديثُ النّفس بِمَا يكون وَبِمَا لَا يكون[(١)].

وقال الراغب: "المَنَى: التّقدير. يقال: مَنَى لك الماني، أي: قدّر لك المقدّر، ومنه: المـنَا الذي يوزن به فيما قيل، ...، ومنه: المَنِيَّة، وهو الأجل المقدّر للحيوان، وجمعه: مَنَايا، والتَّمَنِّي: تقدير شيء في النّفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظنّ، ويكون عن رويّة وبناء على أصل، لكن لمـَّا كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك، فأكثر التّمنّي تصوّر ما لا حقيقة له"[(٢)].

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني:

اتفق المفسرون على أن المراد بهذه المفردة في الآية: التسويل لبني آدم، والإيهام لهم، والوعد لهم بما هو كذب لا ثقة فيه، ولا مأمن من مغبَّتِه حتى يصل بهم إلى الزيغ والضلال عن الصراط المستقيم كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[النساء:١٢٠][(٣)]، واختلفوا

(١) ينظر: تهذيب اللغة(١٥/٣٨١-٣٨٣)-باب النون والميم-(منى)، والنهاية لابن الأثير(١٥/٢٩٤)(منا).

(٢) المفردات (منى) ص(٧٧٩-٧٨٠).

(٣) ينظر: جامع البيان(٩/٢١٣)،ومعاني القرآن وإعرابه(٢/١٠٩)، ومعاني القرآن للنحاس(٢/١٩٤)، والنكت والعيون للماوردي(١/٥٣٠)، ومعالم التنزيل(٢/٢٨٩)، وزاد المسير لابن الجوزي(١/٤٧٣)، والمحرر الوجيز(٢/١١٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/٣٨٩)، والبحر المحيط(٤/٧١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٥/٢٠٥).

في نوع هذه الأماني التي يعدهم إياها، ويوهمهم بها على أقوال:

الأول: أن لا جنة ولا نار، روي هذا عن ابن عباس[١].

الثاني: أمنينهم في ركوب الأهواء[٢].

الثالث: بطول الحياة، والخير، والتسويف بالتوبة، والمغفرة مع الإصرار على الذنوب؛ ليركنوا إلى الدنيا ويؤثروها على الآخرة، وإلى هذا ذهب النحاس، والزجاج، والجصاص، والماوردي، وابن كثير[٣].

الترجيح:

والذي يظهر –والله أعلم–أن ما ذكر إنما هو من باب التفسير بالمثال، والآية تحتمل كل هذه المعاني؛ إذ لا تعارض بينها، والأصل حمل اللفظ العام على جميع المعاني، ما لم يرد مخصص، وكل هذه المعاني المذكورة وغيرها هي من الأماني التي يلج من خلالها الشيطان على بني آدم فيغويهم بها، وكل بحسب حاله.

قال ابن عطية:" {وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} لأسولنَّ لهم. وهذا لا ينحصر إلى نوع واحد من الأمنية؛ لأن كل واحد في نفسه إنما تمنيه بقدر نصبته وقرائن حاله"[٤].

وقال الواحدي: "قوله: {ولأمنينهم}: التمنية: تسهيل سبيل إدراك المنية وهو ما يتمناه الإنسان، والشيطان يُمني الإنسان بأن يخيل إليه إدراك ما يتمناه من المال وطول العمر"[٥].

---

(١) حكاه ابن الجوزي في تفسيره(٤٧٣/١).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره(٢٨٩/٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس(١٩٤/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج(١٠٩/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٥٣/٢)، والنكت والعيون(٥٣٠/١)، وتفسير ابن كثير (٤١٥/٢).

(٤) المحرر الوجيز(١١٤/٢).

(٥) التفسير الوسيط للواحدي(١١٨/٢).

وقال ابن عاشور:" وَمَعْنَى: وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ: لأعدنهم مواعيد كاذبة، ألقيها في نفوسهم، تجعلهم يتمنون، أي: يقدرون غير الواقع واقعًا، إغراقًا في الخيال؛ ليستعين بذلك على تهوين انتشار الضلالات بينهم. يقال: منَّاه، إذا وعده المواعيد الباطلة، وأطمعه في وقوع ما يحبه مما لا يقع، .. ومنه سُمي بالتمني: طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عُسرٌ"(١).

وقال الرازي: "قَوْلُهُ: {وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} واعلم أنه لما ادعى أنه يضل الخلق قال: وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وهذا يشعر بأنه لا حيلة له في الإضلال أقوى من إلقاء الأماني في قلوب الخلق. وطلبُ الأماني يورث شيئين: الحرص والأمل، والحرص والأمل يستلزمان أكثر الأخلاق الذميمة، وهما كالأمرين اللازمين لجوهر الإنسان، قال صلى الله عليه وسلم: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ اثْنَانِ الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ»(٢).

والحرصُ يستلزم ركوب أهوال الدنيا وأهوال الدين؛ فإنه إذا اشتد حرصُه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله إلا بمعصية الله وإيذاء الخلق، وإذا طال أملُه نسي الآخرة وصار غريقًا في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة، ولا يكاد يؤثّر فيه الوعظ فيصير قلبه كالحجارة أو أشد قسوة"(٣).

*****

(١) التحرير والتنوير(٥/٥٠٤-٥٠٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية واللفظ له(٨/١٦٠)، وهو في صحيح مسلم بلفظ "يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ"ح(١٠٤٧) (٢/٧٢٤)(باب كراهة الحرص على الدنيا).

(٣) التفسير الكبير للرازي(١١/٢٢٢-٢٢٣).

المطلب الخامس

المفردة الرابعة: (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

قال ابن فارس: "(أَمَرَ) الهمزة والميم والراء أُصُولٌ خَمْسَةٌ: الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، وَالْأَمَرَ النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْمَعْلَمُ، وَالْعَجَبُ"(١).

وقال أيضًا:" (بَتَكَ) الباء والتاء والكاف أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْقَطْعُ. قالوا: بتكتُ الشيء قطعتُه أبتكُه بتكا. قال الخليل: الْبَتْكُ قَطْعُ الْأُذُنِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾. قَالَ: وَالْبَاتِكُ السَّيْفُ الْقَاطِعُ. قَالَ: والبَتْكُ أن تقبض على شعر أو ريش أو نحو ذلك ثم تجذبُه إليك فينبتك من أصله، أي: ينقطع وينتتف، وكل طائفة من ذلك بِتْكة، والجمع بِتَك"(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: "والبَتْكُ: القطع على سبيل التفريق"(٣).

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني:

في هذه الآية الكريمة حكى الله عن إبليس إقسامه ليأمرن بني آدم ممن اتبعه وأضله بتقطيع آذان الأنعام نسكًا فيحرمون أكلها عليهم والانتفاع بها ويستجيبون لأمره ودعوته، وعني بها البحيرة باتفاق المفسرين(٤): وهي–أي: البَحِيرة– الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرًا شقوا آذانها ولم ينتفعوا بها(٥).

---

(١) مقاييس اللغة(١/١٣٧).

(٢) المرجع السابق(١/١٩٥).

(٣) تفسير الراغب(٤/١٦٣).

(٤) كما حكاه الواحدي في التفسير الوسيط(٢/١١٨)، وينظر: جامع البيان(٩/٢١٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٩٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج(٢/١١٠)، والنكت والعيون(١/٥٣٠)، والمحرر الوجيز(٢/١١٤)، ومعالم التنزيل(٢/٢٨٩)، وزاد المسير(١/٤٧٣)، والجامع لأحكام القرآن(٥/٣٨٩).

(٥) ينظر: جامع البيان(٩/٢١٣-٢٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه(٢/١١٠)، وأحكام القرآن للجصاص(٢/٣٥٣)، والمحرر الوجيز(٢/٢١٤)، ومفاتيح الغيب(١١/٢٢٣)، وتفسير ابن كثير(٢/٤١٥)، وغيرهم.

قال الزجاج: "ولآمُرنَهم بِتَبْتِيكِ آذان الأنعام فليبتكُنَ، أي: يشقِقُن، يقال: بتكْتُ الشيءَ أبْتِكه بَتْكاً إذا قطعته، وبِتْكَة وبِتَكُ، مثل قطعة وقطع، وهذا في البَحِيرةِ، كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن فكان الخامس ذكَراً شقوا أذن الناقة وامتنعوا من الانتفاع بها ولم تطرد عن ماءٍ ولا مرْعًى، وإذا لقيها أَلْمَعيّ لم يركبها. فهذا تأويل: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ سَوَّلَ لهم إبليس أن في تركها لا ينتفع بها قربة إلى الله"(١).

وعبر بالتبتيك ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ لتكثير الفعل إذ القطع كثير على أنحاء مختلفة(٢).

ثم إن الشيطان الرجيم بتسويله لبني آدم ووسوسته وتزيينه صار كالآمر لهم، وهم باتباعهم لخطواته وتنكبهم للصراط المستقيم أصبحوا بمنزلة المأمورين المطيعين له ولهذا عبر الله تبارك وتعالى عن ذلك بقوله حكاية عنه: ﴿وَلَأُمَرِّنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأُمَرِّنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[النساء:١١٩](٣).

*****

المطلب السادس

المفردة الخامسة: (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله).

الفرع الأول: المراد بتغيير خلق الله في الآية

اختلف المفسرون في المراد بـ"تغيير خلق الله" في هذه الآية على اتجاهين:

الاتجاه الأول: أن المراد ليغيرن دين الله، وهي الخلقة الباطنة، واختلف

(١) معاني القرآن وإعرابه(٢/١٠٩-١١٠).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز(٢/٢١٤).

(٣) ينظر: الكشاف(١/٢١٣).

القائلون بذلك في تقرير المراد بدين الله على قولين:

١- أن المراد: فطرته التي فطرهم عليها وهي التوحيد، وإلى هذا ذهب ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، وعكرمة، والضحاك، واختاره ابن جرير، والزجاج[١].

واستدلوا على ذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم:٣٠] -وهو خبر ومعناه النهي-[٢]. وقالوا: بأن أولى ما يفسر به القرآن هو القرآن. والمراد بخلق الله في هذه الآية: دين الله وهو كذلك في الآية المفسرة.

قال ابن جرير بعد تقريره لذلك: "وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه: من خِصَاءِ ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن وشمه وَوشْرِه، وغير ذلك من المعاصي= ودخل فيه ترك كلِّ ما أمر الله به؛ لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته. فذلك معنى أمره نصيبَه المفروضَ من عباد الله، بتغيير ما خلق الله من دينه"[٣].

وأجاب ابن جرير عن قول من قال: إن المراد التغيير الجسماني: "بأنه مضى الخبر مفسرا عن الشيطان بأنه أمر بتبتيك آذان الأنعام وهو تغيير الأجسام، فلا وجه لإعادة الخبر عنه به مجملاً؛ إذ كان الفصيح في كلام العرب أن يُترجم عن المجمل من الكلام بالمفسر، وبالخاص عن العام، دون الترجمة عن المفسر بالمجمل، وبالعام عن

(١) ينظر: جامع البيان(٩/٢٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه(٢/١١٠)،، ومعاني القرآن للنحاس(٢/١٩٥).
(٢) ينظر: البحر المحيط(٤/٧١)، وأضواء البيان للشنقيطي(١/٣٠٩).
(٣) جامع البيان(٩/٢٢٠). وينظر: أضواء البيان(١/٣٠٩).

الخاص. وتوجيه كتاب الله إلى الأفصح من الكلام، أولى من توجيهه إلى غيره، ما وجد إليه السبيل"[١].

٢- أن المراد: هو تبديل الحلال بالحرام والحرام بالحلال[٢].

٣- أنهم اتخذوا ما خلق الله لهم من الشمس والقمر، والحجارة مما فيه منفعة لهم عبادًا من دون الله، وغيروا ما خلقت له[٣].

الاتجاه الثاني: أن المراد تغيير أحوال تتعلق بالظاهر الجسماني، وهي الخلقة الظاهرة التي خلقهم الله عليها، واختلفوا في تحديد المراد على أقوال:

١- أن المراد: الإخصاء، وقطع الآذان، وفقء العيون، وغير ذلك مما يدخل في باب المثلة، وهو قول لابن عباس، وأنس رضي الله عنهما، وعكرمة[٤].

٢- أن المراد: الوشم، وإليه ذهب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهو قول للحسن[٥].

واستدلوا بحديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمستوشِمَاتِ، وَالمـُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»[٦].

(١) جامع البيان(٩/٢٢٢-٢٢٣).

(٢) ذكر هذا القول في كل من: زاد المسير(١/٤٧٤)، والتفسير الكبير(١١/٢٢٣).

(٣) ذكره النحاس في معاني القرآن(٢/١٩٥).

(٤) ينظر: جامع البيان(٩/٢١٥-٢١٦)، ومعاني القرآن للنحاس(٢/١٩٥)، والنكت والعيون(١/٥٣٠).

(٥) ينظر: جامع البيان(٩/٢٢١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ح(٤٨٨٦)(٦/١٤٧)، كتاب التفسير-(باب:{وما آتاكم الرسول فخذوه})، ومسلم في صحيحه ح(٢١٢٥)، كتاب اللباس والزينة (باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة).

الترجيح:

والذي يظهر –والله أعلم–أن الاتجاه الأول هو الأقرب والأولى بحمل معنى الآية عليه؛ لقوة ما استدلوا به، وهو وإن كان كذلك إلا أن الآية تحتمل الاتجاهين جميعًا؛ إذ لا تعارض بينهما، والأصل حمل الآية على كل المعاني الواردة ما لم يرد دليل بالتخصيص، ولكن الأولى ما قدمنا، فالتغيير لدين الله يشمل التغيير المنهي عنه في الأجسام والأحوال.

قال السعدي: "وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر والنمص والتفلج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن، وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره. ويتناول أيضًا: تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان"[1].

الفرع الثاني: من صور تغيير خلق الله في القديم والحديث

١- الوشم، والنمص، والفلج، وهي من أولى ما يدخل في معنى الآية على ما ثبت في حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمستوشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»[2].

قال القرطبي في بيان معنى الوشم:"يكون في اليدين، وهو أن يغرز ظهر كف المرأة ومعصمها بإبرة ثم يُحشى بالكحل أو بِالنَّنُورِ فَيَخْضَرُّ. وَقَدْ وَشَمَتْ تَشِمُ وَشْمًا فَهِيَ وَاشِمَةٌ. وَالْمُسْتَوْشِمَةُ الَّتِي يُفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا، ..

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٢٠٤).

(٢) سبق تخريجه في الحاشية ما قبل السابقة.

وقال: وَالْمُتَنَمِّصَاتُ جَمْعُ مُتَنَمِّصَةٍ وَهِيَ الَّتِي تَقْلَعُ الشَّعْرَ مِنْ وَجْهِهَا بِالْمِنْمَاصِ، وَهُوَ الَّذِي يَقْلَعُ الشَّعْرَ، وَيُقَالُ لَهَا: النَّامِصَةُ...

وقال: وَالْمُتَفَلِّجَاتُ جَمْعُ مُتَفَلِّجَةٍ، وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ الْفَلَجَ فِي أَسْنَانِهَا، أَيْ تُعَانِيهِ حَتَّى تَرْجِعَ الْمُصْمَتَةُ الْأَسْنَانَ خِلْقَةً فَلْجَاءَ صَنْعَةً"(١).

٢- الوصل للشعر بشعر، لما ورد من النهي الشديد واللعن الأكيد لمن تفعله، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»(٢).

٣- الخصاء، وهو للآدميين حرام بالاتفاق؛ لأنه تغيير لخلق الله، وهو مثلة لا تجوز، وفيه قطع للنسل الذي أوصى النبي بالمكاثرة منه، وأيضًا فإنه قد يفضي للهلاك لما فيه من الألم الشديد(٣).

٤- عملية تغيير الجنس من ذكر إلى أنثى، والتلاعب بالهرمونات والجينات فهو من أعظم الحرام وتغيير خلق الله(٤).

إلى غير ذلك من الصور القديمة والحديثة والتطبيقات المعاصرة التي تفوق الحصر، مما يندى له الجبين، ومما يبين عن المستوى الديني والأخلاقي السيء الذي وصل إليه بعض المسلمين تقليدا للكفار، والحذو وراء الموضات الواردة منهم حذو القذة بالقذة والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومما ينبغي أن ينبه عليه هنا أن ثمت صورا لا تدخل في هذا المعنى المنهي عنه من تغيير خلق الله كالتصرف بالمخلوقات بما أذن الله تعالى

---

(١) تفسير القرطبي(٥/٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ح(٥٩٣٣)، (٧/١٦٥) كتاب اللباس- (باب الوصل في الشعر)، ومسلم ح(٢١٢٢)، (٣/١٦٧٦) كتاب اللباس والزينة (باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة)، من حديث أسماء بنت أبي بكر. وينظر: المجموع للنووي(١/٢٩٦).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن(٥/٣٩١)، والمبسوط للسرخسي(١٥/١٣٥)، وأضواء البيان(١/٣٠٩).

(٤) ينظر: الفقه الميسر(١٢/٦٠).

فِيهِ، ولا ما يدخل في معنى الحُسْن؛ فإنَّ الخِتَان من تغيير خلق الله ولكنه امتثال لأمر الشارع الحكيم ولما له من فوائد صحية، وكذلك حلق الشعر لفائدة دفع بعض الأضرار، وتقليم الأظفار لفائدة تيسير العمل بالأيدي، وكذلك ثقب الآذان للنساء لوضع الأقْرَاط والتزيُّن، ونحو ذلك، والله أعلم[1].

الفرع الثالث: بلاغة النظم القرآني لهذه التوعدات في هذا الموضع:

جاء ترتيب هذه الجمل المقسم عليها في غاية من الفصاحة والبلاغة، حيث بدأ أولاً: بذكر استخلاص الشيطان نصيبًا منهم واصطفاءه إياهم، ثم ثانيا: بإضلالهم وإزاغتهم عن الصراط المستقيم إلى الكفر والبدع والعصيان، ثم ثالثاً: بتمنيهم الأماني الكواذب والإطماعات الفارغة، ثم رابعاً: بتبتيك آذان الأنعام، وهو حكم لم يأذن الله فيه بل هو مخالف لأمره تعالى وارتكاب لنهيه، ثم خامسًا: بتغيير خلق الله وهو شامل للتبتيك وغيره من الأحكام التي شرعها لهم.

وإنما بدأ بالأمر بالتبتيك وإن كان مندرجًا تحت عموم التغيير، ليكون ذلك استدراجا لما يكون بعده من التغيير العام، واستيضاحًا من إبليس طواعيتهم في أول شيء يلقيه إليهم، فيعلم بذلك قبولهم له. فإذا قبلوا ذلك أمرهم بجميع التغييرات التي يريدها منهم، كما يفعل الإنسان بمن يقصد خداعه: يأمره أولا بشيء يراه سهلاً، فإذا رآه قد قبل ما ألقاه إليه من ذلك أمره بجميع ما يريد منه.

وإقسام إبليس على هذه الأشياء ليفعلنها يقتضي علم ذلك، وأنها تقع إما لإخبار الله تعالى له، أو لكونه علم ذلك من جهة الملائكة، أو لكونه لما استنزل آدم علم أن ذريته أضعف منه[2].

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٥/٢٠٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط(٤/٧٢).

المبحث الثاني
التوعدات الواردة في سورة الأعراف

في قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[الأعراف:١٦-١٧]

وفي هذا الموضع توعد إبليس بني آدم بتوعدين: (لأقعدن)، و(لآتينهم...).

المطلب الأول:
المعنى الإجمالي للآيتين

ذكر الله تعالى في هذه السورة الكريمة قصة خلق آدم عليه السلام وأنه لما خلقه وصوره أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا ممتثلين لأمر الله العزيز الحكيم، إلا أن إبليس الرجيم وقد كان معهم استكبر وطغى وفسق عن أمر ربه وأبى أن يكون مع الساجدين، فأخرجه الله من الجنة وأهبطه منها، فأقسم إبليس بإغواء الله له ليجلسن لبني آدم على كل طريق من طرق الحق وليقعدن لهم قعود المترصد المتربص ليصدهم عنه، وليغوينهم، وليضلنهم، ثم إنه سيأتيهم من كل وجوه الحق والباطل، من الوجه الذي أمرهم به فينهاهم ويصدهم عنه، ومن الوجه الذي نهاهم عنه فيزينه لهم ويأمرهم به[1].

(١) ينظر: جامع البيان(٣٤١/١٢)، وغيره.

المطلب الثاني

المفردة الأولى: (لأقعدن).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

قال ابن فارس:" (قَعَدَ) الْقَافُ وَالْعَيْنُ وَالدَّالُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ لَا يُخْلَفُ، وَهُوَ يُضَاهِي الْجُلُوسَ وَإِنْ كَانَ يُتَكَلَّمُ فِي مَوَاضِعَ لَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْجُلُوسِ"(١).

قال الراغب: "القُعُودُ يقابل به القيام، والْقَعْدَةُ للمرّة، ...، ويعبر عن المتكاسل في الشيء بِالْقَاعِدِ نحو قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[النساء:٩٥]، .. ، وعن التّرصّد للشيء بالقعود له، نحو قوله: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾"(٢).

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني

اتفق المفسرون على أن معنى القعود هو ما يقابل القيام، فيكون المعنى: فبسبب إغوائك إياي وبعد إمهالك لي أقسمُ لأجتهدنَّ في إغوائهم ولأجلسنَّ لهم على الطريق الموصل إلى رضوانك وجنتك التي أخرجتني منها طريق الحق والشرع والعبادة والخير معترضًا لهم لأصدهم عنه كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة، وهو كناية عن شدة الترصد لهم، وملازمة أحوالهم وأزمانهم(٣).

قال ابن عاشور: "وَالْقعُودُ كنايةٌ عن الملازمة ..، ووجه الكناية: هو

(١) مقاييس اللغة (قعد)، (١٠٨/٥).

(٢) المفردات (قعد)، (٦٧٨-٦٧٩).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء(٣٧٥/١)، وغريب القرآن لابن قتيبة(١٦٥/١)، ومعاني القرآن للأخفش(٢٨٤/١)، وجامع البيان(٣٣٤/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه(٣٢٤/٢)، والكشف والبيان(٢٢١/٤)، ومعالم التنزيل(٢١٨/٣).

أنَّ ملازمةَ المكان تستلزم الإعياءَ من الوقوف عنده، فيقعد الملازمُ طلبًا للراحة، ..

ولما ضُمِّنَ فِعْلُ: لَأَقْعُدَنَّ معنى الملازمة انتصب صراطك على المفعولية، أو على تقدير فعل تضمنه معنى {لَأَقْعُدَنَّ} تقديره: فأمنعنَّ صراطَكَ أو فأقطعنَّ عنهم صراطَكَ"(١).

الفرع الثالث: المراد بالصراط المستقيم في قوله: (صراطك المستقيم)

واختلف المفسرون في المراد بالصراط المستقيم على قولين:

الأول: أنه طريق الحق وهو دين الإسلام، والمعنى: أنه سيقعد لهم في كل طريق يوصل إلى الحق فيصدهم عنه، وإليه ذهب مجاهد، واختاره أكثر المفسرين(٢).

واستدلوا على ذلك بما ثبت عن النبي ﷺ من حديث سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ

(١) التحرير والتنوير(٤٧/٨).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد(٣٣٣/١)،وغريب القرآن لابن قتيبة(١٦٥/١)،وجامع البيان(٣٣٤/٢)، وتفسير السمرقندي (٥٠٦/١)، والكشف والبيان(٢٢١/٤)، والوسيط للواحدي(٣٥٤/٢)، ومعالم التنزيل(٢١٨/٣).

أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ» أخرجه أحمد، والنسائي[1].

الثاني: أن المراد: طريق مكة، والمعنى: ليصدن عن مكة كل قاصد لها للحج والعمرة، وإليه ذهب ابن مسعود، وعون بن عبدالله[2][3].

الترجيح:

والذي يظهر –والله أعلم–أن الخلاف بينهما خلاف تنوع وأن القول الثاني إنما هو تفسير بالمثال، فقصد مكة للنسك هو بعض من كل، وهو جزء من هذا الدين العظيم، وإبليس بتوعده هذا أقسم ليصدنهم عن دين الإسلام.

(١) في مسند أحمد ح(١٥٩٥٨)، (٣١٥/٢٥)، وسنن النسائي ح(٣١٣٤)،(٢١/٦)، كتاب الجهاد– (باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد) وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة(١١٨٦/٦) ، ح (٢٩٧٩).

(٢) هو التابعي عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي، روى عن أبي هريرة وغيره، توفي سنة (بضع عشرة ومائة). ينظر: تاريخ دمشق(٦٠/٤٧)، وتهذيب التهذيب(١٧١/٨).

(٣) ينظر: جامع البيان(٣٣٥/١٢)، وأخبار مكة للفاكهي الأثر(٢٤٢٨)، والنكت والعيون(٢٠٦/٢).

المطلب الثالث

المفردة الثانية: (لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

قال في لسان العرب: "أتى: الإِتْيان: المَجيء"(١).

وقالَ الرَّاغِبُ: "المجيء أعمّ، لأنّ الإتيان مجيء بسهولة"(٢).

وقالَ السَّمين:"الإِتْيانُ يقالُ للمَجِيءِ، بالذَّاتِ وبالأَمْرِ والتَّدْبيرِ، وَفِي الخَيْرِ والشَّرِّ"(٣).

وقال الكفوي: "الْإِتْيَان: هُوَ عَامٌ فِي الْمَجِيء والذهاب وَفِيمَا كَانَ طبيعيًا وقهريًا. والذهاب: يُقَابل الْمَجِيء، والمرور: يعمه"(٤).

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني

لما ذكر الله تبارك وتعالى توعد إبليس وقسمه ليقعدنَّ لهم على الصراط المستقيم ليصدهم عنه عطف عليه بقوله {ثمَّ لآتيناهم} و (ثُمَّ) فِيهَا لِلتَّرْتِيبِ الرُّتْبِيِّ، وهو التدرج في الأخبار إلى خبر أهمّ لأنَّ مضمون الجملة المعطوفة أوْقَع في غرض الكلام من مضمون الجملة المعطوف عليها، لأنَّ الجملة الأولى أفادت الترصُّد للبشر بالإغواء، والجملة المعطوفة أفادت التهجم عليهم بشتى الوسائل.

وكما ضرب المثل لهيئة الحرص على الإغواء بالقعود على الطريق، كذلك مُثلَت هيئة التوسل إلى الإغواء بكل وسيلة بهيئة الباحث الحريص

(١) لسان العرب(أتى)(١٤/١٣).

(٢) المفردات (جاء) ص(٢١٢).

(٣) عمدة الحفاظ(١/٥٥).

(٤) الكليات ص(٣٤).

على أخذ العدو إذ يأتيه من كل جهة حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه، فهو يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى تخور قوة مدافعته، فالكلام تمثيل، وليس للشيطان مسلك للإنسان إلا من نفسه وعقله بإلقاء الوسوسة في نفسه، وليست الجهات الأربع المذكورة في الآية بحقيقة، ولكنها مجاز تمثيلي بما هو متعارف في محاولة الناس ومخاتلتهم في الغالب كما قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾[الإسراء:٦٤] ولذلك لم يذكر في الآية الإتيان من فوقهم ومن تحتهم إذ ليس ذلك من شأن الناس في المخَاتَلَة[١] وإلا المهاجمة. وقيل: لم يقل "من فوقهم" لأن الرحمة تنزل منه، ولم يقل "من تحتهم" لأن الإتيان منه يوحش الناس، على ما سيأتي[٢].

الفرع الثالث: المراد بالإتيان من هذه الجهات

واختلف المفسرون في المراد بإتيانه من هذه الجهات الأربع على أقوال:

الأول: {مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} أي: من جهة آخرتهم أشككهم فيها؛ وعبر بهذا لأنها مستقبله،{وَمِنْ خَلْفِهِمْ} أي: من جهة دنياهم، فأزينها لهم وأرغبهم فيها، وعبر بذلك عنها لأنها ماضية باعتبار الآخرة، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} أي من قبل حسناتهم، {وَعَن شَمَآئِلِهِم} من قبل سيئاتهم، وإليه ذهب ابن عباس[٣].

والثاني: {مِنّ بَيْنِ أيْدِيهِمْ} من قبل دنياهم، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} من قبل آخرتهم، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} الحق أشككهم فيه، {وَعَن شَمَآئِلِهِم} الباطل أرغبهم

(١) المخاتلة: قال ابن فارس: الخاء والتاء واللام أصيل فيه كلمة واحدة، وهي الختل، قال قوم: هو الخدع. وكان الخليل يقول: تخاتل عن غفلة. مقاييس اللغة(ختل)(٢/٢٤٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير(٨/٤٩). وينظر: فتح القدير(٢/٢١٩)، وروح المعاني للألوسي(٤/٣٣٥).

(٣) ينظر: جامع البيان(١٢/٣٣٨).

فيه، قاله السدي وإبراهيم النخعي[١].

والثالث: {مِنّ بَيْنِ أَيْدِيهِم} {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من حيث يبصرون ، {وَمِنْ خَلْفِهِم} {وَعَنْ شَمَائِلِهِم} : من حيث لا يبصرون ، قاله مجاهد[٢].

والرابع: أراد من كل الجهات التي يمكن الاحتيال عليهم منها، وهذا من باب الاستعارة التمثيلية[٣]، والمراد: أن يسول لهم ويضلهم بقدر الإمكان، وإلا بأنه شبه حال تسويله، ووسوسته لهم كذلك بحال إتيان العدو من أي جهة أمكنته، ولذا لم يذكر الفوق والتحت إذ لا إتيان منهما، أو لأن الفوق تنزل منه رحمة الله[٤]، والتحت لما فيه من التنفير والتوحش[٥].

الخامس: {مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم} فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون على طاعة، {وَمِنْ خَلْفِهِم} فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية، {وَعَنْ أَيْمَانِهِم} من قبل غناهم فلا ينفقونه في مشكور، {وَعَن شَمَائِلِهِمِ} من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور.

السادس: {مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم} بسط أملهم، {وَمِنْ خَلْفِهِم} تحكيم جهلهم، {وعن أيمانهم} فيما ييسر لهم، {وَعَن شَمَائِلِهِم} فيما تعسر عليهم[٦].

الترجيح:

والذي يظهر –والله أعلم–أن الأقرب هو القول الرابع؛ لوجاهة القول وقوته، ولشموله وجمعه الأقوال كلها، والخلاف بينها إنما هو من قبيل التنوع

---

(١) ينظر: المصدر السابق، والنكت والعيون(٢/٢٠٦).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد(١/٣٣٤)، والنكت والعيون(٢/٢٠٧).

(٣) الاستعارة التمثيلية: تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. علم البيان لعبدالعزيز عتيق ص(١٩٢).

(٤) وهذا القول اختيار ابن جرير والزجاج والواحدي وغيرهم. ينظر: جامع البيان(١٢/٣٤١)، ومعاني القرآن وإعرابه(٢/٣٢٤)، والوسيط للواحدي(٢/٣٥٥)، وروح المعاني للألوسي(٤/٣٣٥)، والتحرير والتنوير(٨/٤٩).

(٥) ينظر: النكت والعيون(٢/٢٠٧).

(٦) احتمل هذين القولين الماوردي في تفسيره(٢/٢٠٧).

إذ لا تضاد بينها.

قال ابن جرير: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فأصدّهم عن الحق، وأحسِّن لهم الباطل. وذلك أن ذلك عَقِيب قوله: {لأقعدن لهم صراطك المستقيم} ، فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرَهم الله أن يسلكوه، وهو ما وصفنا من دين الله دينِ الحق، فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه، من الوجه الذي أمرهم الله به، فيصدّهم عنه، وذلك "من بين أيديهم وعن أيمانهم"= ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه، وذلك "من خلفهم وعن شمائلهم".

وقيل: ولم يقل: "من فوقهم"، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم"[1].

ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها، كما قال في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَعُ هؤلاء الدعواتِ، حين يُصبح وحين يُمسي: "اللهم إني أسأَلك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أَسأَلك العفو والعافية في ديني ودنياي وأَهلي ومالي، اللهم استر عَوْرَاتي، وآمنْ رَوْعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شَمالي ومن فوقي، وأَعوذ بعظمتك أن أُغْتَال من تحتي"[2].

(١) جامع البيان(٣٤١/١٢) وهذا القول الذي حكاه مروي عن ابن عباس كما أخرجه ابن جرير عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح ٤٧٨٥ وصحح إسناده محققه أحمد شاكر، وأخرجه وابن ماجه ح ٣٨٧١ ص (١٢٧٣/٢)، كتاب الدعاء(باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى)، وأبو داود في سننه ح ٥٠٧٤ (٣١٨/٤)، كتاب الأدب(باب ما يقول إذا أصبح)،والنسائي في السنن الكبرى ح ١٠٣٢٥ (٢١٠/٩)، كتاب عمل اليوم والليلة، والبخاري في الأدب المفرد ص(٤١١) ح(١٢٠٠)، (باب ما يقول إذا أصبح)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص (٤٥٦).

سبب التعدية بحرف (من) و(عن) في الآية:

وعُدِّيَ الفعلُ إلى الجهتين الأوليين بـ(من) {من بين أيديهم ومن خلفهم}، وإلى الأخريين بـ(عن) {وعن أيمانهم وعن شمائلهم}؛ لأن الغالب فيمن يأتي من قدَّام وخَلف أن يكون متوجهًا إلى ما يأتيه بكلِّية بَدَنِه، والغالبُ فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون كالمنحرف عنه المار على عرْضِه، فناسبَ في الأوليين التعدية بحرف الابتداء، وفي الأخريين التعدية بحرف المجاوزة(١).

وقال أبو حيان: "وإنما خَصَّ بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان لأنهما أغلبُ ما يجيء العدوُّ منهما فينال فرصته، وقدَّم بين الأيدي على الخلف لأنها الجهة التي تدلُّ على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قِرْنِه غيرَ خائفٍ منه، والخلف جهةُ غَدْرٍ ومخاتلة وجهالة القِرْن بمَنْ يغتاله ويتطلب غِرَّته وغَفْلَتَه، وخَصَّ الأيمان والشمائل بالحرف الذي يدلُّ على المجاوزة لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنما يجاوز إتيانَه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك، وقُدِّمت الأيمان على الشمائل لأنها هي الجهةُ القويةُ في ملاقاة العدو، وبالأَيْمان البطشُ والدفعُ، فالقِرْنُ الذي يأتي مِنْ جهتها أبسلُ وأشجع إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع، والشمائل ليست في القوة والدفع كالأَيْمان"(٢).

(١) ينظر: تفسير البيضاوي(٨/٣)، وفتح القدير(٢١٩/٢).

(٢) البحر المحيط(٢٢/٥-٢٣).

المبحث الثالث

التوعدات الواردة في سورة الحجر

في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾[الحِجر:٣٩]

في هذه الآية الكريمة توعد إبليس بني آدم بتوعدين، الأول: (لأزينن)، والثاني: (لأغوينهم).

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآية.

لما ذكر جل اسمه قصة خلق آدم عليه السلام وإبليس وما جرى بعد ذلك من أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم وامتثال الملائكة لأمره تبارك وتعالى بينما استكبر إبليس وطغى وأبى أن يكون من الساجدين فسخط الله عليه ولعنه وأخرجه من الجنة، حينها سأل إبليس أن ينظره إلى يوم الدين فأجابه الله تعالى لحكمة أرادها ليكون زيادة في غيه وبعده وليبتلي به عباده، عندها أقسم إبليس اللعين بإغواء الله له أن يجتهد ويبذل ما أمكنه في التزيين والتحسين لبني آدم في هذه الأرض الباطل من الكفر بالله، والمعاصي، وسائر الشهوات والشبهات التي تصدهم عن ربهم، وليشغلنهم بها عن ما يجب عليهم من طاعة ربهم بهذه الدنيا وزينتها وزخرفها، وليضلنهم عن سبيل الرشاد إلا أنه استثنى عباد الله المخلصين –وهم الأقل– لأنه يعلم أنه لا سلطان له عليهم، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون–وهم الأكثر–[1].

(١) وإلى هذا ذهب عامة المفسرين، ينظر على سبيل المثال: جامع البيان(٦٨/١٤)، ومعالم التنزيل(٣٨١/٤)، والمحرر الوجيز(٣٦٢/٣)، وتفسير ابن كثير(٥٣٥/٤)، وغيرهم.

المطلب الثاني

المفردة الأولى: (لأزينن).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

قال ابن فارس: "(زَيَنَ) الزَّاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يدل على حسن الشيء وتحسينه. فَالزَّيْنُ نَقِيضُ الشَّيْنِ. يُقَالُ: زَيَّنْتُ الشَّيْءَ تَزْيِينًا. وَأَزْيَنَتِ الْأَرْضُ وَازَّيَّنَتْ وَازْدَانَتْ إِذَا حَسَّنَهَا عُشْبُهَا"(١).

وقالَ الحراليُّ(٢): "الزّينة: تَحْسينُ الشيءِ بغيرِهِ من لبْسَةٍ أَو حلْيَةٍ أَو هَيْئَةٍ؛ وقيلَ: بهْجَةُ العَيْنِ الَّتِي لَا تخلصُ إِلَى باطِنِ المزَيّنِ"(٣).

الفرع الثاني: معنى المفردة القرآنية في السياق القرآني

توعد إبليس أن يزين ويحسن لبني آدم في أعينهم الشرور والسيئات والكفر والعصيان وكذا أن يحسن لهم ترك امتثال ما أمرهم به الله تبارك وتعالى بكل ما أمكنه من وسائل التحسين ليصل إلى الغاية الكبرى من طلبه الإنظار إلى يوم القيامة وهو إغواء عباد الله ليستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ويكونوا من حزبه ومعه في نار الجحيم، أعاذنا الله من مكره وخطواته.

قال ابن عاشور: "والتزيينُ: التحسين، أي: جعل الشيء زينًا، أي: حسنًا. وحذف مفعول لأزينن لظهوره من المقام، أي: لأزينن لهم الشر والسيئات فيرونها حسنة، وأزين لهم الإقبال على الملاذ التي تشغلهم عن الواجبات"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (زين)، (٤١/٣)، وينظر: لسان العرب(زين)،(٢٠١/١٣).

(٢) هو العلامة المتفنن أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي، الأندلسي. وحَرَّالة: قرية من عمل مُرْسِيَة –وهي مدينة بالأندلس–. له تفسير القرآن العظيم، ت(٦٣٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء(٣٠٩/١٦)، ومعجم البلدان(١٠٧/٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي(٧٦).

(٣) ينظر: تاج العروس(زين)(١٦١/٣٥).

(٤) التحرير والتنوير(٥٠/١٤)، وإلى هذا ذهب عامة المفسرين. ينظر: جامع البيان(١٠٣/١٧)، وتفسير السمرقندي(٢٥٦/٢)، والكشف والبيان (٣٤١/٥)، والتفسير الوسيط(٤٥/٣)، والمفردات للراغب الأصفهاني(٣٨٩/١)، ومعالم التنزيل(٣٨١/٤)، وتفسير ابن كثير(٥٣٥/٤)، والتحرير والتنوير(٥٠/١٤).

المطلب الثالث

المفردة الثانية: (لأغوينهم).

الفرع الأول: معنى المفردة لغة:

قال ابن فارس: "(غَوِيَ) الغين والواو والحرف المعتل بعدهما أصلان: أحدهما يدل على خلاف الرشد وإظلام الأمر، والآخر على فساد في شيء.

فالأول الغي، وهو خلاف الرشد، والجهل بالأمر، والانهماك في الباطل. يقال: غَوَى يغوي غيًّا.

وذلك عندنا مشتق من الغيَايَة، وهي الغبرة والظلمة تغشيان، كأن ذا الغي قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حق،.. والأصل الآخر: قولهم: غوي الفصيل، إذا أكثر من شرب اللبن ففسد جوفه. والمصدر الغوى"[(١)].

وقال في اللسان: "غوى: الغي: الضلال والخيبة. ابن الأعرابي[(٢)]: الغي الفساد[(٣)]".

إذن فهذه المادة تدل على معنى: الضلال، والخيبة، والفساد.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (غوي)(٣٩٩/٤).

(٢) إمام اللغة، أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم، الأحول، النسابة. يروي عن: أبي معاوية الضرير، وأبي الحسن الكسائي. وعنه: إبراهيم الحربي، وعثمان الدارمي، وثعلب، وأبو شعيب الحراني، وشمر بن حمدويه، وآخرون. له مصنفات كثيرة أدبية، و"تاريخ القبائل"، وكان صاحب سنة واتباع، مات بسامرا في سنة إحدى وثلاثين ومائتين. سير أعلام النبلاء(٧٥/٩). وينظر: بغية الوعاة للسيوطي(١٠٥/١).

(٣) لسان العرب(١٤٠/١٥)، وينظر: مختار الصحاح ص(٢٣١).

الفرع الثاني: معنى المفردة في السياق القرآني

توعد إبليس بني آدم أن يجتهد في إضلالهم وإيقاعهم في الغواية والمهلكة التي تدخلهم نار جهنم، وقد ذهب عامة المفسرين إلى أن معنى هذه المفردة في هذه الآية مأخوذ من الإغواء وهو الإضلال، والمعنى: ولأضلنهم عن سبيل الهدى والرشاد إلى طريق الغواية والهلاك(١).

قال الشوكاني: "لأضلنهم عن طريق الهدى، وأوقعهم في طريق الغواية وأحملهم عليها"(٢).

(١) ينظر: جامع البيان(٦٨/١٤)، وتفسير السمرقندي(٢٥٦/٢)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين(٣٨٥/٢)، والكشف والبيان(٣٤١/٥)، والنكت والعيون(١٦١/٣)، وتفسير السمعاني(١٤٠/٣)، ومعالم التنزيل(٣٨١/٤)، والمحرر الوجيز(٣٦٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن(٢٨/١٠)، وفتح القدير(١٥٨/٣)، وغيرهم.

(٢) فتح القدير(١٥٨/٣). وينظر: التحرير والتنوير(٥٠/١٤).

المبحث الرابع

التوعدات الواردة في سورة الإسراء

في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء:٦١-٦٢]

حكى الله ﷻ في هذا المقطع توعد إبليس لبني آدم بأن يحتنك منهم من يستطيع إغواءه.

المطلب الأول: المعنى الإجمالي للآية

يُذكّر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع من السورة بأمره تعالى للملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام حين خلقه الله تعالى سجود تحية لا سجود عبادة فسجدوا إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين وأبى أن يكون مع الساجدين محتجاً بخلق الله له من نار وخلق آدم من طين زاعمًا أن جنس النار أشرف، وقال بجرأة ووقاحه: أرأيتك أي: أخبرني[1] عن هذا الذي فضلت وكرمت علي، يعني: لم كرمته علي وأنا خير منه – فاختصر الكلام بحذف ذلك–، والكاف لتأكيد المخاطبة، لئن أمهلتني إلى يوم القيامة لأستميلن ذرية آدم ولأغوينهم عن صراطك المستقيم، طامعًا أن يغوي أكثر ذرية آدم إلا من خلصه الله وسلمه من عباد الله المخلصين[2].

(١) وبه قال سيبويه. ينظر: الكتاب لسيبويه(٢٣٩/١)، والمحرر الوجيز(٤٦٩/٣).

(٢) ينظر: معالم التنزيل(١٤٢/٣)، والكشاف(٦٧٧/٢).

المطلب الثاني: معنى المفردة (لأحتنكن) لغة:

قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالنُّونُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وهو عضو من الأعضاء ثم يحمل عليه ما يقاربه من طريقة الاشتقاق. فأصل الحنك حنك الإنسان، أقصى فمه. يقال حَنَّكْتُ الصَّبِيَّ، إذا مضغت التمر ثم دلكتَهُ بِحَنَكِهِ، فَهُوَ مُحَنَّكٌ؛ وَحَنَكْتُهُ فَهُوَ مَحْنُوكٌ. وَيُقَالُ: "هو أشد سوادا من حنَكِ الْغُرَابِ" وَهُوَ مِنْقَارُهُ، وَأَمَّا حَلَكُهُ فَهُوَ سَوَادُهُ.

ويقال: احتنك الجراد الأرض، إذا أتى على نبتها؛ وذلك قياس صحيح، لأنه يأكل فيبلغ حنكه. ومن المحمول عليه استئصال الشيء، وهو احتِنَاكُهُ، وَمِنْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ أَيْ: أُغْوِيهِمْ كُلَّهُمْ، كَمَا يُسْتَأْصَلُ الشَّيْءُ، إِلَّا قَلِيلًا"[1].

وقال الراغب: "الحَنَكُ: حنك الإنسان والدّابّة، وقيل لمنقار الغراب: حَنَكٌ، لكونه كالحنك من الإنسان، وقيل: أسود مثل حنك الغراب، وحلَكِ الغراب، فحَنَكُه: منقارُه، وحَلَكُه: سوادّ ريشه، وقوله تعالى: ﴿ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ يجوز أن يكون من قولهم: حَنَكْتُ الدّابّة: أصبت حنكها باللّجام والرّسَن[2]، فيكون نحو قولك: لألجمنّ فلانا ولأرسننّه، ويجوز أن يكون من قولهم احتنك الجراد الأرض، أي: استولى بحنكه عليها، فأكلها واستأصلها، فيكون معناه: لأستولينّ عليهم استيلاءه على ذلك، وفلان حَنَّكَه الدّهر واحتنكه، كقولهم: نجّذه، وقرع سنّه، وافترّه، ونحو ذلك من الاستعارات في التّجربة"[3].

---

(١) مقاييس اللغة (حنك)(١١٢/٢).

(٢) الرَّسَنُ: الْحَبْلُ. والرَّسَنُ: مَا كَانَ مِنَ الأَزِمَّة عَلَى الأَنف، وَالْجَمْعُ أَرْسانٌ وأَرْسُنٌ. لسان العرب(رسن)، (١٨٠/١٣).

(٣) المفردات (حنك) ص(٢٦٠).

وقال في اللسان: "وَقَوْلُهُ ﷻ حَاكِيًا عَنْ إبليس: ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ مأخوذ من احتنك الجراد الأرض إذا أتى على نبتها؛ قال الفراء: يقول لأستولين عليهم إلا قليلا يعني المعصومين[1]؛ .. وقال الأَخفش فِي قَوْلِهِ: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قَالَ: لأَستأْصلنهم، ولأَستمِيلَنَّهم. واحْتَنَك فُلَانٌ مَا عِنْدَ فُلَانٍ أَي: أَخذه كُلَّهُ"[2].

ويتبين من هذا أن أصل المادة (حنك) واشتقاقاتها تدور حول: الاستئصال، والاستيلاء، والاستمالة.

المطلب الثالث: معنى المفردة في السياق القرآني:

اختلف المفسرون في دلالة المفردة (الاحتناك)؛ بناء على اختلافهم في أصل اشتقاقها اللغوي، على أقوال:

الأول: أنه عبارة عن الأخذ بالكلية (الاستئصال)، –وهي لغة قريش[3]– يقال: احتنك فلان ما عند فلان من مال إذا استقصاه وأخذه بالكلية، واحتنك الجراد الزرع إذا أكله بالكلية واستولى عليه، فالمعنى على هذا القول: لأستأصلنهم بالإغواء والإضلال. وإليه ذهب ابن عباس، ومجاهد، وابن قتيبة، والبغوي، والزمخشري، والشوكاني، وغيرهم[4].

الثاني: أنه من الاستمالة، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ حَنَّكَ الدَّابَّةَ يُحَنِّكُهَا، إِذَا جَعَلَ فِي حَنَكِهَا الْأَسْفَلِ حَبْلًا يَقُودُهَا بِهِ، فالمعنى على هذا القول: لأستميلنهم، وَلَأَقُودَنَّهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي كَمَا تُقَادُ الدَّابَّةُ بِحَبْلِهَا. وإلى هذا ذهب

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء(١٢٧/٢).

(٢) لسان العرب(حنك)(٤١٦/١٠).

(٣) ينظر: اللغات في القرآن لابن سحنون ص(٣٤).

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة(٢٥٨)، وجامع البيان(٤٨٩/١٧)، وزاد المسير(٣٧/٣)، ومعالم التنزيل(١٤٢/٣)، والكشاف(٦٧٧/٢)، وفتح القدير(٢٨٦/٣).

ابن عطية[١].

الثالث: لأحتوينهم، وإليه ذهب عبدالرحمن بن زيد بن أسلم[٢].

الترجيح، ونوع الخلاف:

والذي يظهر والله أعلم أن الخلاف خلاف تنوع لا تضاد، وبين المعاني تقارب ظاهر، واللفظ يحتملها كلها.

قال ابن جرير: "لأستولين عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم، يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك"[٣].

وقال بعد أن ذكر هذه الأقوال: "وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى؛ لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم"[٤].

(١) ينظر: المحرر الوجيز(٣/٤٧٠).

(٢) ينظر: جامع البيان(١٧/٤٨٩).

(٣) جامع البيان(١٧/٤٨٨).

(٤) المرجع السابق، وينظر: الجامع لأحكام القرآن(١٠/٢٨٧)، وتفسير ابن كثير(٥/٩٣).

المبحث الخامس: الأثر التربوي الإيماني من دراسة هذه التوعدات

المتأمل لهذه الآيات الكريمات في المواضع المذكورة آنفا والتي حكى الله تبارك وتعالى لنا في محكم كتابه عن إبليس الرجيم حيث وصفه وأجلى حقيقته وخبث طبيعته، وشدة عداوته لآدم وذريته، وأوضح في القرآن أن العداوة شديدة مستحكمة ناتجة عن حقد دفين وحسد عظيم قديم لآدم وذريته؛ وذلك أن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين، وأمره بالسجود لآدم، فاستكبر واعترض ولم يكن من الساجدين فأبعده الله عن جنته وحكم عليه بناره وخلوده فيها، فمن ذلك كله نشأت العداوة المحتدمة الشرسة، والتي من شأنها أن يذكرها الله تعالى رحمةً بعباده تحذيرا لهم أن يزيغهم عدوهم المصرح لهم بالعداوة وليعلم الذين ضلوا وظلموا أنفسهم أنهم من حزبه الذين صدق عليهم ظنه قلا تبقى لهم حجة = وما ذاك البيان إلا ليدرك المسلم عظيم الخطر ويستعدَّ للنزال مع هذا العدو الماكر فيعمل ما يمكنه في مراغمته والبعد عن خطواته لعله أن ينجو فيكون من حزب الله المفلحين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ولا هم يحزنون.

وقد ذكر ربنا جل ذكره في موضع سورة النساء أن من يدعو هذا الشيطان المريد ويعبده ويطيعه ويتخذه وليا من دون الله أنه قد خسر خسرانا مبينا؛ وذلك من وجوه عدة؛ منها: أنه صرف العبادة والطاعة عن من يستحق تبارك وتعالى إلى أعدى أعداء الله والناس أجمعين، ثم إن هذا الشيطان المطاع أخبر الله عنه هنا بأنه مريد للضلال منهمك به لا يعلق بشيء من الخير والهدى، فتكون طاعته ضلالاً بعيداً عن الهدى. وأيضا: أنه ملعون لضلاله، فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن. وأخيرا: أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم، وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلاً عن عبادته[1].

(١) ينظر: أنوار التنزيل(٢/٩٨).

وبعد هذه الجولة في هذا البحث تبين لنا بجلاء ما توعد به هذا العدو الماكر المجاهر بالعداوة المصرح بها وتوعده بأنه سيجتهد بالتزيين والتحسين لكل ما يصد عن الطريق المستقيم سعيا منه لإغواء أكثر بني آدم إلا من استثني من العباد المخلصين الذين خلصهم الله من كيد هذا الكائد، وأن إبليس لن يتركهم في سبيلهم ولن يتوانى في إغوائهم والسعي في إضلالهم بكل ما يمكنه وبحسب ما أقدره الله تعالى، ومن هنا كمُنَت الخطورة ووجب الحذر فهو يجري من ابن آدم مجرى الدم فهو يعلم دواخل النفوس وطبائعها، فيأتي كل إنسان بما يناسبه فالصالح قد يأتيه من جهات أحدها: من جهة صلاحه فيمنيه بالزيادة والاجتهاد بالقدر الذي يخرجه عن الحد المشروع حتى يوصله إلى البدعة ونحوها، وأما الإنسان المعرض المقصر فيأتيه من جهة الإعراض فيقنطه من رحمة الله ويسول له بطول الأمل ليزداد عتوا وبعدًا وطغيانًا، وهكذا.

ومن توعداته أنه سيقعد لبني آدم في كل طريق وأنه مترصد لهم ومتربص بهم قاصدا صدهم عن هذا الصراط المستقيم بغية أن يكونوا من أتباعه وحزبه؛ فحري بكل إنسان أن يفقه هذا التوعد المباشر الصريح الذي لا مراوغة فيه ولا تلبيس بل هو قوي في التحدي من إبليس فيستشعر أنه واقف له في كل طريق فيبادر بالأعمال الصالحة ولا يسوف، ويتقي سبل الشيطان وتسويلاته فلا يقدم على عمل إلا وهو يعلم مصلحته؛ لأن خطوات الشيطان كثيرة وطرقه ملتوية لا يكاد يسلم منها إلا من عصمه الله؛ بأن وفقه للتعوذ من هذا الشيطان الرجيم دائما وأبدا، ويسر له طرق الخير والنجاة مهتديا بالعلم النافع ومتبعا للحق بالعمل الصالح، فلا تلتبس عليه الشبهات، ولم يطلق لنفسه عنانها بالوقوع بالمشتبهات والتوسع بالشهوات، فحبائل الشيطان كثيراً ما تدور وتكمن في مثل هذه الأمور.

وأخيرا فإن من التوعدات الخطيرة لبني آدم التي حكاها الله تعالى ما ورد في سورة الإسراء، ففيه بيان لعظيم خبث هذا اللعين وعظيم جرأته على

ربه، وشدة استكباره وتعاليه واحتقاره لآدم وذريته، وبعده عن الخير والهدى، وفيه شدة الصراحة في العداوة والتوعد بالاستئصال والتمادي في الإغواء، ووالله إن الناظر المتأمل بأدنى تأمل ليقشعر بدنه ويقف شعر رأسه من هذا، وهذا ما يوجب عليه شدة الحيطة والحذر والاحتراس من هذا الخبيث الذي أخرج أبانا من الجنة وتوعدنا بهذه التوعدات، وفي سياق هذه الآيات أيضا ما يبين أن إبليس سيؤز الناس أزا إلى الغواية والبعد عن أسباب الرشد والهداية بكل ما يستطيع بصوته الداعي إلى المعصية، والصياح على الناس بفرسانه ومشاته فهم كالجيش الغازي والسيل العاتي لاجتثاث ذرية آدم عن فطرتهم ودينهم، وبالمشاركة لهم في الأموال باستمالتهم إلى التصرف فيها بما يخالف الوجه الشرعي، ومشاركتهم في أولادهم بادعائهم كذبا وتحصيلهم بالزنى ونحو ذلك، وأنه سيزين لهم ويعدهم الوعود الكاذبة الخادعة لهم والمضللة لهم.

ومع هذا كله فقد أخبرنا الله تعالى أن إبليس قد حقق عليهم ظنه واتبعه كثير من الناس، وأنه لم ولن ينج منه ومن مكايده إلا عباد الله المخلصين الذين أخلصهم الله لعبادته وخلصهم من هذا الشيطان الرجيم فأخذوا بالأسباب الشرعية التي تقيهم بإذن الله منه.

فالمسلم الفطن هو من يتبصر بالمقصود من خلق الله له، ويعلم يقينا عداوة الشيطان وحزبه له فيحذره أشد الحذر وينظر مسالكه ومداخله التي أخبرنا الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم عنها بوضوح وجلاء فيحفظها ويسدها إغلاقًا للطريق على هذا الشيطان الرجيم لئلا يكون من هذا النصيب الخاسر.

*****

الخاتمة

وبعد هذه الجولة السريعة، والدراسة للتوعدات والتهديدات الإبليسية لبني آدم في القرآن الكريم، يجمل بنا أن نعرج على بعض النتائج التي نخلص إليها من هذا البحث، وهي:

١- بالاستقراء للمواضع التي وردت فيها التهديدات الإبليسية في القرآن العزيز نجد أنها بلغت عشرة تهديدات، في أربع سور من القرآن، وكلها جاءت بصيغة القسم مما يدل على العزم والجزم.

٢- أنه توعد ليأتين بني آدم من كل وجه يتمكن من خلاله من إضلالهم، وهذا يوجب الحذر والحيطة، والاعتصام بحبل الله المتين، ولزوم الصراط المستقيم.

٣- أن كيده محصور بالتزيين والتلبيس، والتدليس، وليس له من الإضلال شيء سوى هذا.

٤- أن تزيينه ووعده لبني آدم أنهم إذا أطاعوه فلهم السعادة الأبدية والخلود في الجنات ونحو ذلك، وكلها وعود كاذبة وأماني باطلة، ولا أدل على هذا أنه توعد ليغوينهم، ومن كان هذا شأنه، فلن يصلح حال أحد، وأخبر الله تعالى أنه سيتبرأ من تابعيه.

٥- أنه ليس له قدرة ولا سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم ويتوكلون.

٦- أن سلطانه على الذين يتولونه والذين هم بالله مشركون.

٧- أن إبليس سيغوي ويضل، ويدخل معه النار أكثر الناس، والناجون من مكره وكيده هم الأقل، نسأل الله أن يجعلنا من حزبه المفلحين، لا من حزب إبليس الرجيم.

٨- أن من كيد إبليس وشدة مكره أنه يأتي كل أحد بحسبه، فليس له طريق واحد ثابت لكل الناس، ومن هنا تكمن الخطورة، ويجب الحذر.

٩- أن من وجوه تلبيسه وتزيينه: أن يزين لبني آدم المعاصي والكفر، والشر، وأن يشغلهم عن الطاعات وعبادة الله بزينة الدنيا وزخرفها.

التوصيات:

وفي هذا الصدد فإني أوصي نفسي وإخواني من الباحثين والدعاة إلى الله تبارك وتعالى بالعناية في بيان تلبيس إبليس ومكايده ومكره وخطواته، وسبله في تحقيق ما توعد به وأقسم عليه وتكثيف الجهود في هذا والتحذير والأكيد منه ومن أوليائه، وبيان السبل الشرعية للخلاص والنجاة؛ لما فيه من النصح للمسلمين وللناس ليتبعوا الصراط المستقيم، ويجتنبوا خطوات الشيطان الرجيم، ولا سيما ونحن في زمن نرى فيه الضعف في بيان هذا الأمر مع شدة تكالب الأعداء وأعوان الشياطين وتهالك الناس على الفتن وكثرة الشهوات والمنكبين عليها، نسأل الله أن يسلمنا جميعا ووالدينا وذرياتنا والمسلمين من كيد إبليس وجنوده، وأن يعيذنا من تلبيسه ومكره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا؛ وفي الختام فإني أحمد الله تبارك وتعالى على تيسيره وإعانته على إتمام هذا البحث ليخرج بهذه الصورة، وأسأله أن يبارك فيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن. لأحمد بن علي الرَّازي الجصَّاص، دار الكتاب العربي، (صورته عن الطبعة الأولى بمطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة العلية، ١٣٣٥هـ.

٢- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٣- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥- أنوار التنْزيل وأسرار التأويل. لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ.

٦- بحر العلوم. لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، وزكريا النوتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧- البحر المحيط. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وزكريا النوتي، وأحمد الجمل، دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٣هـ.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس. لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .
٩- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
١٠- التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر ابن عاشور التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع.
١١- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ
١٢- تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق الجزء (١): د. محمد عبد العزيز بسيوني، نشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. والجزء (٢-٣) تحقيق: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، والجزء (٤، ٥) تحقيق: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٣- تفسير القرآن العزيز. لمحمد بن عبد الله المري الإلبيري، المعروف بابن أبي زَمَنين، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد الكنْز، الفاروق الحديثة، ط.الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٤- تفسير القرآن العظيم. لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.الثانية ١٤٢٠هـ .
١٥- تفسير القرآن. لأبي المظفر السمعاني منصور بن محمد التميمي المروزي الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، ط.الأولى، ١٤١٨هـ .
١٦- التفسير الكبير -مفاتيح الغيب-. لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي البكري الرازي، دار الكتب العلمية، ط.الأولى، ١٤١١هـ .
١٧- تفسير مجاهد. لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المكي القرشي المخزومي، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط.الأولى، ١٤١٠هـ.
١٨- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي(المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
١٩- تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ
٢٠- تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط.الأولى، ٢٠٠١ م .
٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا المطيري، قدم له: عبد الله

بن عقيل، ومحمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، ط.الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن. لمحمد بن جرير الطبري، حققه: محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط.الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية ودار إحياء التراث الإسلامي، ط.الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٦- زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط.الرابعة، ١٤٠٧هـ .

٢٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

٢٨- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

٢٩- سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (مطبوع ضمن الكتب الستة) إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٠- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٣١- سنن النسائي. لأحمد بن شعيب الشهير بالنسائي (مطبوع ضمن الكتب الستة) إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.الأولى، ١٤٢٠هـ .

٣٢- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٣٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط. الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٣٤- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٣٥- صحيح البخاري.لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (مطبوع ضمن الكتب الستة) إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٦- صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تشرف بخدمته والعناية به: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار قرطبة، ط الثانية، ١٤٣٠هـ.
٣٧- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
٣٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتاب العربي، ط.الأولى، ١٤٢١هـ .
٣٩- الفِقهُ الميَسَّر، المؤلف: أ. د. عَبد الله بن محمد الطيّار، أ. د. عبد الله بن محمّد المطلق، د. محمَّد بن إبراهيم الموسَى، الناشر: مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: جـ ٧ و ١١ - ١٣: الأولى ١٤٣٢/ ٢٠١١، باقي الأجزاء: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٤٠- الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، توزيع: دار الباز .
٤١- الكشف والبيان. لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط.الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٣- لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، ط. الثالثة، ١٤١٤هـ.
٤٤- اللغات في القرآن، عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري (المتوفى: ٣٨٦هـ)، بإسناده: إلى ابن عباس، حققه ونشره: صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م،الأجزاء: ١.
٤٥- المبسوط. لشمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، ١٤١٤هـ.
٤٦- المجموع شرح المهذب -مع تكملة السبكي والمطيعي- لأبي زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي، دار الفكر .
٤٧- محاسن التأويل. لمحمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه، واعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط.الأولى، ١٣٧٦هـ .
٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وزملائه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر. دار الخير، ط.الثانية، ١٤٢٨هـ.
٤٩- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٥٠- المسند. للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط. الأولى، ١٤١٦هـ .
٥١- معالم التنْزيل. لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن عك، ومروان سوار، دار المعرفة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ .

٥٢- معانى القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٥٣- معاني القرآن وإعرابه. للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط.الأولى، ١٤٠٨هـ.
٥٤- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
٥٥- معاني القرآن. لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
٥٦- معجم مقاييس اللغة. لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ .
٥٧- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٥٨- النكت والعيون. لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية.
٥٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير

(المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، تقديم: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ثالثًا :
الحديث وعلومه